تعليمية النص الحجاجي الآليات والأساليب

ـ نمـاذج تطبيقـة ـ

د/علية بيبية

جامعة تبسة

الملخص:

يعتمد النص الحجاجي على الأسلوب التواصلي الذي يعتمد على تقديم الحجج والبراهين قصد إقناع الطرف الآخر المخاطب حول فكرة أو إشكالية ما و لابد لذلك من وجود طرفين أو أكثر للمحاجة خاصة في النصوص التي تعتمد على الحوار وهو بذلك يقوم على توليد فكرة واستدلال معان واعتماد أساليب إقناعية لتوصيل الفكرة.

ونحاول في هذه المداخلة أن نبين هذه الآليات من خلال نماذج نصية وذلك من خلال تعليمية النص الحجاجي المقرر على طلبة السنة الأولى ماستر شعبة تحليل الخطاب في مادة علم لغة النص.

Résumé

Texte Hajaji sur la méthode communicative, qui dépend de la présentation des arguments et des preuves dépend destiné à convaincre l'autre destinataire du parti sur l'idée ou le problème de ce et de l'être de la présence de deux ou plus privé pour l'argument dans les textes qui reposent sur le dialogue et est donc basée sur la génération d'idées et d'inférence brillance et l'adoption de méthodes de persuasion pour communiquer l'idée.

Nous essayons dans cette présentation pour montrer à ces mécanismes à travers des modèles de texte par le texte éducatif Hajaji due à des étudiants de première année de l'analyse du discours de Maître dans la langue de la division de la science des matériaux de text.

*** *** ***

1- النص:

لقد أثار مصطلح النص إشكالات عدة في الدراسات اللغوية والنقدية فكل يعرفه انطلاقا من توجهاته المعرفية، الأمر الذي جعل حيز البحث النصي يتشعب من خلفية إلى أخرى ومن اتجاه إلى آخر.

والنص لغة من مادة (نصص) يدل على الوضع بنوعيه الحسي والمجرد، كما تدل على أقصى الشيء وغايته ومنه نص الناقة أي استخرج أقصى سيرها، ودلالة النص الإظهار ،وقد استخدمت لفظة النص في علم الحديث بمعنى الإسناد والتوقيف والتعيين وفي ذلك يقول ابن منظور: «النص رفعك الشيء ،نص الحديث ينصه نصا رفعه وكل ما أظهر فقد نص وقال عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه»(1)

فالنص في معناه اللغوي قائم على فكرة الرفع والإظهار.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد كانت الآراء متباينة بين الفكر اللغوي العربي والغربي في تعريف النص.

فالشريف الجرجاني يعرفه بأنه «ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى»(2)

فالنص حسب هذا التعريف قائم على الوضوح والانكشاف عن المعنى المراد من قصد المتكلم.

أما في الفكر النقدي واللغوي الحديث فقد اختلفت الدراسات القائمة على كشف النصوص واتخذت مسارات عدة واتجاهات مختلفة –كما سلف الذكر- ويمكن تقسيم هذه التعريفات تبعا لاتجاهات اصحابها إلى مايلي:

الاتجاه البنيوي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه ضرورة قطع النص عن مبدعه وعن سياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية ويركزون على البنية النصية نفسها ويتعاملون مع النص على أنه نسيج محكم مغلق بعيد كل البعد عن المرجعيات والسياقات الثقافية ،ومن هؤلاء تودوروف الذي يرى أن النص «قد يتطابق مع جملة كما أنه قد يتطابق مع كتاب بأكمله وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه»(3).

ويرى برينكر بأنه «تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل فالنص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة ليست جملا وإنما أجزاء متوالية»(4)

ويرى الأزهر الزناد أن النص هو «نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض ويمثل علامة كبيرة ذات وجهين وجه الدال والمدلول"»(5).

فهذه التعريفات تشير إلى أن كل نص مستقل بذاته تشكله علاقات الربط والارتباط بين وحداته التي تشكل علاقات منتظمة وإذا اختل جزء من هذه الوحدات اختل نظام النص كله فالمفردة داخل النص ليس لها تفسير خارج بناء النص.

الاتجاه السيميائي:

لقد قرنت السيميائية مصطلح النص بالتناص ورأت أن النص إنتاج متعالق مع نصوص أخرى فهو بذلك ينفتح على دلالات متعددة نتيجة تداخله مع غيره،والنص ليس بنية مكتوبة فحسب بل يشمل الإشارات والرموز باعتبارها علامات غير لغوية.

وأهم التعريفات السيميائية تعريف جوليا كرستيفا إذ ترى أن النص هو «جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها»(6).

والنص بذلك يعني أمرين:

1-علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع عن طريق التفكيك وإعادة البناء مما جعله صالحا لأن يعالج بمقولات منطقية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.

2-يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى أي عملية تناص ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه»(7).

اتجاه علماء اللغة الاجتماعيين:

لقد ربط أصحاب هذا الاتجاه النص الأدبي بأرضيته الاجتماعية التي نشأ فيها وعرفوا النص على أنه «بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية»(8)

فالبحث النصي يتطلب معرفة ما هو خارج النص أي الاهتمام بالخلفية الثقافية التي ساهمت في إنتاج النص وكل ما يتعلق بالسياق الزماني والمكاني الذي أنشئ فيه.

الحجاج:

إن الوقوف عند هذا المصطلح يتطلب معرفة جذوره اللغوية بتنوع سياقاتها.

فقد جاء في لسان العرب في مادة (حجج) «الحجة :البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم والتحاجج والتخاصم وجمع الحجة حجج وحجاج وحاجه محاجة وحجاجا نازعه والحجة الدليل والبرهان يقال حاججته فأنا محاج وحجيج»(9)

وجاء في معجم مقاييس اللغة عن الحجاج ما يلي«يقال حاججت فلان فحججته أي غلبته بالحجة وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج والمصدر حجاج»(10)

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا أن الحجاج يكون لبيان الحجة على الخصم ،معنى ذلك أنه يحمل طابع الشدة في المحاورة وبيان الدليل عن طريق المنازعة بين شخصين.

ويعرف الشريف الجرجاني الحجاج «الحجة ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد»(11)

فأساس الحجاج التركيز على دعم قضية ما والتعقيب لها بإثبات دعواها وبالتالي بيان موقف من يصر على صحة الدعوى اتجاه خصمه الذي يقنعه بالتأثير عليه بإثبات الأدلة والبراهين ودحض وتفنيد كل ما عند المستمع الآخر.

وفي اللغة الفرنسية نجد لفظةargumentation

تشير إلى عدة معان متقاربة أبرزها على الخصوص حسب روبير(12) ما يلي:

-القيام باستعمال الحجج.

مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

والحجاج في الاصطلاح تتمخض عنه تعريفات عدة والسبب هو ذلك التباين الذي يتوزع عليه هذا المصطلح في النظريات الفلسفية والبلاغية واللغوية مما جعل مفهومه متشعبا بين المرجعيات الثقافية.

فالحجاج:«هو سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة أو هو الكيفية التي تقدم بها الحجج وتنظم وهو مجموعة من الاستدلالات الموجهة لإثبات أطروحة»(13)

معنى ذلك أن الحجاج هدفه الأول التأثير في العقول عن طريق الاستدلال «فالتأثير يقود إلى الانخراط لأنه يملك تقنيات التعبئة ويتموضع داخل علاقات القوى وعلاقات الإغراء المتبادلة ومل تحمله من شحنات عاطفية،والاستدلال ينشئ الروابط بين القضايا ويعمل على توسيع وتدعيم حقل المعرفة»(14)

كما يعرف طه عبد الرحمن الحجاج بقوله:«إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تنتج منها»(15).فهو يركز بشكل فعال على آليات الحجاج وكيف ينبغي أن يكون ،فالحجاج يسعى إلى تقديم البراهين والأدلة على صحة القول أو الدعوى ويؤدي حتما إلى الوصول إلى النتيجة وهذا يتوقف علة تثيبت الحقيقة وتطويرها بكل ما أتيح للحاج من إمكانيات تعبيرية من أفعاله الكلامية داخل سياق معين وتختلف الحجج باختلاف العلاقات التداولية والوظائف والمجالات «فقد يكون ذاتيا حميميا تلجأ فيه الذات إلى حوار داخلي لإقناع نفسها وقد يكون ثنائيا يتم بين فردين أو فريقين متقابلين أو بين خطين وجمهور وقد يحتاج الأمر إلى عدد من الأفراد»(16).

ويربط عبد الله صولة في كتابه الحجاج في القرآن بين مفردتي الحجاج والمحاجة فيقول:«لقد حدت المحاجة أو الحجاج عموما بكونها سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو هي الطريقة التي تطرح بها الأدلة"»(17).

وهذه الأدلة قد تتنوع بتنوع السياقات والمرجعيات وفي ذلك يقول «ومعلوم أن هذه الأدلة والحجج يمكن أن تكون استقراء أو قياسا ظاهرا ومجال ذلك

الجدل أو مثلا وضميرا ومجال ذلك الخطابة مع ما بين أنواع هذه الحجج من تداخل وتماس»(18).

معنى ذلك أن هناك حججا تقوم على الجدل ويتجلى ذلك في المذاهب والديانات والحقوق والخصومات وحجج تقوم على الخطابة ويراعى فيها تفاوت المقامات بين الأفراد.

أما بيرلمان وتتيكا فقد أشارا إلى أن «موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات وأن تزيد في درجة ذلك التسليم ،وغاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان ،فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة»(19).

يتبين من خلال التعريف أن الحجاج يعمل على بيان أطروحات وأدلة في الخطاب الموجه إلى المتلقي باعتباره مشاركا في خبرة وسلوكات المحاج ويحلل الأدلة الموجهة له ويفسرها ويفهم مقاماتها وعلى هذا الأساس يسعى صاحب الحجة في التأثير في المتلقي والتسليم بالقضايا المطروحة والأراء المقنعة حيث يتم استدراج المتلقي باستمالته واستلطافه وإقناعه وبالتالي فالحجاج في هذا السياق يتفرد بخصائص منها:

-أنه مسار حواري يستخدم أحكاما وبراهين تقوم على الجدل والإقناع.

-يقوم على هدف الإقناع واستمالة الطرف الآخر.

-يقوم على طرح القضايا والأراء اعتمادا على براهين كثيرة.

-تسعى أطرافه إلى معرفة المزيد من القضايا المعرفية.

التعليمية:

يشير هذا المصطلح إلى طريقة تعليم ووضع الفرضيات والطرق المختلفة لتعلم أي مادة دراسية أو أي لغة من اللغات وهو مقابل للمصطلح الغربي(ديداكتيك) الذي يضم في مجالاته علم تعليم اللغات وطريقة تدريسها والأليات والأساليب العملية التي يستعملها المعلم للوصول إلى نتائج تفي حاجيات المتعلم.

وهناك تعريفات عدة لمصطلح التعليمية منها تعريف جان كلود غابسون الذي يقر بأن التعليمية «إشكالية إجمالية وديناميةتتضمن تأملا وتفكيرا في طبيعة المادة الدراسية وكذا في طبيعة وغايات تدريسها وإعداد لفرضياتها الخصوصية انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعلم النفس والبيداغوجيا وعلم الاجتماع ،كما أنها دراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها»(20).

فهذا التعريف يتضمن السبل الناجعة التي تنتهجها التعليمية للوصول إلى أهداف المتعلم حيث تتطلب برنامجا مسطرا ذو غايات تهدف من خلالها إلى تقديم المادة المدروسة وفقا لفرضيات وقوانين وقواعد من شأنها أن تنحو منحا تواصليا فعالا يعتمد على علوم شتى كعلم النفس وعلم الاجتماع.

كما أن هذا العلم ينطلق من أسئلة متنوعة لمن يوجه الدرس؟ وكيف ندرس؟ وما هي الآليات التي تتبعها حتى تحقق التواصل الفعال بين المعلم والمتعلم من خلال المادة أو الرسالة المشتركة.

ويعرف دولانشير التعليمية بأنها «طريقة التدريس وهي الطريقة الخاصة بتدريس مادة معينة أو مجموعة من المواد المتقاربة على غرار ديداكتيك اللغات الحية»(21)

وحتى تتحقق العملية التعليمية بشكل ناجح لابد من وجود أطراف هذه العملية والتي تعتبر من الركائز الأساسية للتعليمية وهي:

المتعلم:وهو المحور الأساس الذي يقوم عليه حلقة التعليمية وفيه يجب معرفة السياقات المختلفة له سواء من حيث السن ومستواهم المعرفي ومعرفتهم السابقة بمستواه الحقيقي الذي يدرسه والمادة التي يدرسها وخصوصيته النفسية والاجتماعية.

المعلم:وهو الدعامة الرئيسية في العملية التعليمية ومحور الرسالة والعنصر الفعال في نجاحها ، والتعليمية تهتم بالمعلم من حيث «هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية وعلاقته بالتوجهات العامة للتعليم وأساليب ممارسته وطرائق تلقيه وأدائه»(22).

المحتوى:وهو ما يمكن تعليمه وتعلمه ويتمثل في جملة المعارف العلمية والفنية المكونة لمحتوى البرنامج المقرر فيمكن الباحث في التعليمية أن يدرس المحتوى التعليمي «دراسة وصفية أو تحليلية أو مقارنة أو من منظور اللسانيات الاجتماعية أو من منظور اللسانيات النفسية من أجل تحديد مقاييس انتقاء المادة بدقة"»(23).

النص الحجاجي وخصائصه:

إن النص الحجاجي يعتمد على البرهنة كخاصية مميزة له ،فهو يحرص كل الحرص على إقناع الطرف الآخر بفكرة معينة أو بوجهة نظر، فالنص الحجاجي إذن هو «نص مترابط متناغم (يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة جلية بل قد تأتي على نحو خفي لا تكاد نلمحه) وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة»(24).

وهو بهذا الوصف يتسم بخصائص منها:

1_**القصد المعلن**:

وهو إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة »(25)

وهذه الخاصية مبنية على اختلاف الرأي أو الدعوى بين المتكلم والمخاطب وهنا «تكمن أهمية التفاعل المباشر والتفاعل غير المباشر بين المتكلم والمستمع في ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما وهي أرضية تضم كل الإمكانات الخطابية الخاصة بمقام ما (معلومات مضمونية،وسائل ترتيبية واستدلالية ووسائل تحصيلية)تراعي اعتقادات المتكلم والمخاطب وردود أفعالهما»(26).

2_**البناء:**

يبنى النص الحجاجي على مكونات ستة هي« الدعوى أو النتيجة والمقدمات أو تقرير المعطيات والتبرير والدعامة ومؤشر الحال والتحفظات أو الاحتياطات»(27)

3_التقويم: وهي من أهم المفاهيم التي يبنى عليها النص الحجاجي والقيمة «مفهوم يستنبط مما يقوله الناس ومما يفعلونه ومما تشيده المجادلات»(28).

ويقرر برلمان وتيكا ملامح الحجاج بما يلي:

1_يتوجه إلى مستمع

2_يعبر عنه بلغة طبيعية

3_مسلماته لا تعدوا أن تكون احتمالية

4_لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة

5_ليست نتائجه ملزمة.(29)

وتعليمية النص الحجاجي للطالب الجامعي –وهو لب هذه الدراسة- يستلزم عليه معرفة عناصر هذا النص الذي يقوم كما سلف الذكر على براهين واستدلالات وهذه العناصر نظرية بالدرجة الأولى ندعمها ببعض الأمثلة التطبيقية وذلك للجمع بين ما هو نظري وتطبيقي ومن العناصر التي يجب معرفتها هي:

1_أطراف الحجاج:

وهي الأطراف العملية الحجاجية حيث تساهم في تفاعل القضية وطرحها وهذه الأطراف هي:

المخاطب(بكسر الطاء):

وهو الذات المحورية في العملية الحجاجية إنه يتلفظ بالدليل من أجل التعبير عن مقاصد معينة وبغرض تحقيق هدف فيه ويجسد ذاته من خلال بناء بناء خطابه باعتماده استراتجية خطابية تحتوي كل القيم والدعاوى ويتطلب ذلك اختيار العلامة اللغوية المناسبة ولضمان العملية الحجاجية يجب أن تتوافر مجموعة من العوامل منها القدرة على استخدام اللغة اللفظية ومهارات الخطابة والمناقشة زيادة على القدرة في متابعة استجابة المرسل لرسالته ،فالمخاطب هنا هو المحاج وهو صاحب رأي مدافع عن أطروحة.

المخاطب (بفتح الطاء) أو المتوجه إليه بالحجاج:

ويشكل الطرف الآخر من العملية الحجاجية وهو الذي يجعل دائرة الحجاج تكتمل وله حضور دائم فيها حيث ان فهمه للقضية والدفاع عنها ببراهين وأدلة تجعل العملية الحجاجية ناجحة .

والملاحظ في هذا السياق أن المحاج والمتلقي يشتركان في صفات كثيرة أهمها سلامة اللغة وأدائها وسلامة الحواس والاستجابة والتقبل وغيرها. وهذان العنصران هما محورا العملية العملية الحجاجية فالحجاج هو استثمار تقنيات

خطابية «تهدف إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجات تلك الاستمالة وعلى هذا الأساس فالحجاج عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الأراء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموالاة لإحدى تلك الدعاوي»(30).

والخطاب الحجاجي يهدف إلى إقناع المتلقي أي قدرته على اقتحام عالمه عن طريق البرهنة والاستدلال لذلك فالعلاقة قائمة على خاصيتي التفاعل والتحاور ،معنى ذلك أن الخطاب الحجاجي «يلزم الباث بوجهة نظر معينة ويتخذ من إقناع المتلقي بها هدفا أساسيا إنما يبتعد عن كونه تواصل عادي من جهة أنه يقوم على مجرد التبليغ الذي يقتضي من المتلقي مجرد فك الرموز بواسطة اللغة ليكون الفهم بل يقوم على الفعل في هذا المتلقي ويقتضي منه تأويلا محددا للخطاب وبهذا وحده يكون الحجاج ناجعا والخطاب ناجعا لأنه تمكن من تغيير وضعية سابقة له»(31).

انظر مثلا قوله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) طه آ12_15

تأمل هذا الخطاب الحجاجي الذي يبينه المخاطب وهو الله عزوجل لنبيه موسى عليه السلام ،هو خطاب مبني على لفت انتباه السامع عن طريق لحظة المناداة ،هذه اللحظة التي كانت محاطة بعناصر مشتركة كانت بمثابة المتحول أو المتغير في حياة موسى عليه السلام ،إنها رؤية النار وما فيها من فوائد على موسى عليه السلام في سيره الطريق المظلم «قشعريرة غريبة أشبه ما تكون بتيار كهربائي خفيف يتصاعد قوة ليسري في الجسم كله ،كما يسري الحوار بضخامة أسلوبه وشموخ كلماته وفخامته يهز النفس ويجعل الفؤاد يخشى ويخشع»(32).

فهذا النداء من طرف المخاطب وهو الله عزوجل جاء عن طريق الفعل نودي وقد بني للمجهول «يادة في التشويق إلى استطلاع القصة فإبهام المنادى يشوق سامع القصة إلى معرفته ولأنه أدخل في تصوير تلك الحالة بأن موسى ناداه مناد غير معلوم له فحكى نداؤه بالفعل المبني للمجهول»(33).

فالمناداة تقتضي المعلوم من المنادي وهذا المعلوم هو الله سبحانه وتعالى الذي يكلم موسى عليه السلام دون واسطة فهو كليم الله لقول الله تعالى "وكلم الله موسى تكليما"،قال تعالى "يا موسى إني أنا ربك" لم يكتف بقوله أنا ربك إنما قرنها بأداة التوكيد لإزالة الشك والإبهام وحديث الله سبحانه وتعالى عن نفسه بضمير المتكلم المفرد أو الجمع كثير في القرآن ويحمل دلالة التفخيم والتعظيم.

إنه يحدد نوع العلاقة القائمة بين المتكلم الله ومتلق كلامه بحيث تكون دلالة ذلك التنبيه على علو منزلة الأول وتواضع منزلة الثاني،كما أن الإخبار بضمير المتكلم بأنه رب المخاطب «لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطبه» (34).

والإعلان عن ذات الله تعالى يستوجب عقبه مرحلة أخرى، إنها مرحلة التهيئة النفسية إيذانا لما سيقع ،قال تعالى "فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى"

فالأمر بخلع النعلين يشير إلى طهارة المكان الذي تحيط به هالة من الوحي المنزل على نبيه المختار،أما اخترتك«اخبر عن اختيار الله تعالى موسى بطريق المسند الفعلي المفيد تقوية الحكم»(35).

ولابد للمختار أن يتهيأ معنويا من أجل تلقي الخبر وهذا التهيئ يقتضي الاستماع "فاستمع لما يوحى" والاستماع «هو الإصغاء الواعي القاصد إلى التمييز بين الأصوات وفهمها واستيعابها واستخلاص الأفكار واستنتاج الحقائق وتذوق المادة المسموعة ونقدها وإبداء الرأي فيها»(36).

والاستماع في سياق الآية جاء بمنطق معرفة الحقيقة والتدبر فيها فما هي هذه الحقيقة خاصة وأنها جاءت عن طريق الوحي الذي هو«الإعلام في خفاء وأصله الإشارة السرية سواء بالكلام الخافت أم بالصوت الخالي من التراكيب الكلامية أم بالأعضاء أم بالكتابة»(37).

وهدف الوحي الإلهي هو الاحتجاج عليهم بوجود البشارة والإنذار والبيان والأحكام والمعارف والأوامر(38).فموضوع هذه الرسالة هو إثبات وحدانية الله الذي تجلى في تلك العملية الحجاجية وهي عملية متفردة جسدها ذلك الحوار الخفي الذي دار بين الله تعالى ونبيه عليه السلام.

2_بنية الحجاج:

أ_**التعريف بالقضية:**

ويمثل نوعا من الحجج شبه المنطقية وهو يعتبر مقدمة للحجاج فيه يعرف ماهية القضية المراد طرحها ،ومن أهم أنواع التعريف :التعريف بالإحاطة والتعريف التفسيري.

فالتعريف بالإحاطة هو « تقديم الخصائص المميزة للشيء لإعطائه تمثيلا ذهنيا مجردا وهو عملية تعداد العناصر المكونة للشيء من أجل إعطائه تمثيلا ملموسا»(39).

أما التعريف التفسيري فيتم التركيز فيه على « جوهر الشيء المعرف بتوسيع المفهوم والبحث عن الخصائص المميزة والإحالة على مفاهيم ومرادفات معروفة »(40).

والتعريف في غالبيته يهدف إلى الإقناع « واستعماله لا يقود إلى إعمال الفكر بل لتسخير الأذهان وإثارة الاستجابة أو صناعة سلوك»(41).

ونضرب على التعريف بنص حواري جرى بين الماء والهواء :

«قال الهواء:الحمد لله الذي رفع فلك الهواء على عنصر التراب والماء ،أما بعد فأنا الهواء الذي أولف بين السحاب وأنقل نسيم الأحباب، وأهب تارة بالرحمة وأخرى بالعذاب،وأنا الذي سير بي الفلك في البحر كما تسير العيس في البطاح ،وطار بي كل ذي جناح، وأنا الذي يضطرب مني الماء اضطراب الأنابيب في القنا،إذا صفوت صفا العالم وكان له نضرة وزهوا، وإذا تكدرت انكدرت النجوم وتكدر الجو لا أتلون مثل الماء المتلون بلون الإناء.

فقال الماء:الحمد لله الذي خلق كل حي أما بعد :فأنا أول مخلوق ولا فخر وأنا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر، وأنا الجوهر الشفاف، المشبه بالسيف إذا سل من في الغلاف، وقد خلق الله في جميع الجواهر حتى اللآلئ والأصداف،أحي الأرض بعد مماتها، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها»(42).

فالملاحظ في هذا النص بنية التعريف حيث يكشف كل من الهواء والماء عن سماتهما الحقيقية عن طريق حجج إقناعية منطقية وكل له أدلة خاصة يحاول بها أن يدحض بها الآخر مستعملا ضمير الأنا الذي يدل على الفوقية والاستعلاء

والهدف من هذا التعريف في بنيته العميقة هو بيان فائدة كل من الهواء والماء في حياة الإنسان والحيوان والنبات.

ب-الاستدلال بالتمثيل:

وهو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك« حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما ، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبدا ومن ثمة اعتبر عاملا أساسيا في عملية الإبداع يستعمل في الحجاج دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري حيث لا يطرح معادلة صورية خالصة ولكنه ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير جريا على مبدأ الاستعارة»(43).

فالاستدلال بالتمثيل يقوم على تشكيل «بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق ثنائية في العلاقات»(44).

ونضرب مثالا على ذلك قول الشنفرى:

أقيمو بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدة لطيات مطايا وأرحل(45)

وقد استدل الشاعر على هذه المقاطعة أي مقاطعة اهله وبني جنسه بحجة انصراف المطي فهي علامة من علامات قطع العلاقة بينه وبين ذويه،كما أن هذه العلاقة تحدث في زمن الوحدة ،زمن الظلام (والليل مقمر) فهذه الصورة التمثيلية استعملها الشاعر كوسيلة للاستدلال على الوضوح والخطاب المباشر لهؤلاء الذين يريد أن يفارقهم ليدخل إلى مناخ آخر تتغير فيه جميع القيم ويبين الشاعر ذاته من خلالها.

وهذه الصورة الاستدلالية التمثيلية (الليل مقمر) تمخضت عنها نتائج تبرز استعداد الشاعر للرحيل (حمت الحاجات) (شدت مطايا وارحل).

والجدير بالذكر أن الشاعر يتجه إلى قوم غير طينة الإنسان يشعر من خلالهم بالتفوق والتميز وهذا استدلال حجاجي يبين العودة إلى النقيض والنقيض هنا يمثل قمة وصول الشاعر إلى البطولة والتميز.

يقول في ذلك:

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

هم الرهط لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل(46)

والأدلة على هذا التميز تتمثل في صفات هؤلاء القوم الجدد المنتمي إليهم،إنه مجتمع مثالي متماسك يحافظ على السر ويمتلك الشاعر من خلاله القوة والبسالة(لا مستودع السر ذائع) «وهنا يتكشف النص عن الرؤية المحورية المتمثلة في تعرض الذات لأزمة حادة في علاقتها بالقبيلة أو المجتمع حيث وضح لها أن علاقة القبيلة بها علاقة فوقية وأن تعاملها معها لا يقوم على التكافؤ والمساواة بل على الأذى والاضطهاد مما يشير إلى وجود خلل اجتماعي في طبيعة هذه العلاقة وقد أثر ذلك على الذات تأثيرا سلبيا عنيفا وأفضى بها إلى المقاطعة والانسلاخ والتخلي عن الانتماء لا للقبيلة وحدها بل للمجتمع الإنساني بأسره حيث تكشف لها اندثار القيم الإنسانية الحقة التي تقوم على المساواة والعدل والمودة وهنا تتحقق المفارقة حيث يكتشف الشاعر أن مثل هذه القيم المفتقدة في عالم الإنسان تتحقق في عالم الحيوان»(47).

3-الروابط الحجاجية:

وهي نوع من العناصر النحوية التي تربط بين الجمل وهي وسائل لغوية استدلالية تحدد بواسطة بنيات تركيبية وهي تعتبر بمثابة المؤشرات التي يتم الإحالة عليها في لنصوص الحجاجية.

واللغة العربية تشمل على عدد من الروابط التي تساهم في انسجام وتشابك النصوص وتحمل قيمة حجاجية تحيل إلى عدد من النتائج نتيجة العلل التي تتخللها وبالتالي تستمر في إعطاء جميع الإمكانات الحجاجية التي تضم خطابا ما.

والروابط جمع رابط وهو «العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض وتعين كون اللاحق منهما متعلقا بسابقه»(48).

والروابط في هذا السياق مرتبط بالبنية الحجاجية لذلك فهي تبرز مكونات لغوية ومستويات عدة وهذه المكونات عبارة عن« خليط من الروابط والعوامل

تتطلب النظر في الوجوه والفروق بينها للوقف على أيها أقوى حجاجا أو ما يتولد عن تعاملها من فروق»(49)

والرابط الحجاجي «صرفة تمفصل عبارتين فأكثر أو فصلين لغويين فأكثر ضمن استراتجية حجاجية وحيدة فهناك روابط حجاجية لمحمولات ذات موضعين (إذن ،نتيجة ل،لأن) وهناك روابط حجاجية للمحمولات ذات المواضع الثلاثة (مع ذلك،لكن ،حتى)»(50).

معنى ذلك أن الروابط الحجاجية تربط بين قولين أو عدة أقوال ويوضع كل رابط في سياقه المناسب وهي تربط بين القيمة الحجاجية لقول ما والنتيجة التي يمكن أن تنجم عليها «بنيته الممكنة والمحتملة ،ولا ترتبط بتاتا بالمعلوم الذي يتضمنها»(51).

والروابط أنماط عديدة منها:

1-روابط مدرجة للحجج :حتى ،بل،لكن،مع ذلك ،لأن والروابط المدرجة للنتائج :إذن،لهذا،وبالتالي

2-الروابط التي تدرج حججا قوية :حتى،بل،لكن،لا سيما والروابط التي تدرج حججا ضعيفة

3-روابط التعارض الحجاجي :بل،لكن،مع وروابط التساوق الحجاجي :حتى ،لا سيما(52).

ونضرب مثالا عن فاعلية هذه الروابط في ابيات للأعشى يقول فيها:

نام الخلي وبت الليل مرتفقا أرعى النجوم عميدا مثبتا أرقا

أسهو لهمي ودائي فهي تسهرني بانت بقلبي وأمسى عندها غلقا

يا ليتها وجدت بي ما وجدت بها وكان حب ووجد دام فاتفقا

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا(53)

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يشكوا فراق الحبيبة ولما كان الأمر كذلك اقتضى أن يصف ذاته الحزينة المفارقة وجاء هذا الوصف عن طريق روابط استدلالية حجاجية تمثلت في حروف الربط منها الواو في قوله:(وبت الليل مرتفقا) فالواو هنا تمثل نتيجة لوصف حالة نفسية يعيشها الشاعر من ألم وفراق

وهو ينقل لنا صورة الخلي الذي ينام هادئا مرتاح البال ،بالمقابل هناك صورة أخرى من طرف الشاعر وهو يشكوا البعد والانفصال.

كما أن هذا الرابط الواو قد أدى إلى وجود حجج تمخضت عنها نتائج وهذا كله بسبب البعد والانفصال وتمثلت هذه النتائج في الأبيات الموالية ذات الأفعال الدالة على الحركة (اشكوا لهمي،بانت بقلبي،امسى عندها غلقا.

وخلاصة القول أن النص الحجاجي يتطلب معرفة الوسائل المؤثرة في نفسية كل من المتكلم والسامع خاصة وانه نمط يقوم بتقديم الأدلة والبراهين لاستمالة الآخر وتعليميته تتطلب التدرج في عرض هذه البراهين والتدرج فيها لأنها الأساس الذي تقوم عليه كل عملية حجاجية.

الهوامش:

1_ابن منظور:لسان العرب ،دار صادربيروت،ج8 ص366

2-الشريف الجرجاني:التعريفات،مكتبة لبنان،ص 260

3-عثمان أبو زيد:نحو النص،عالم الكتب الحديث الأردن ،ط1 ،2010 ص139

4-أحمد عفيفي:نحو النص،مكتبة زهراء الشرق القاهرة ط1،2008 ص27

5-عثمان أبو زيد:نحو النص ص 4

6-أحمد عفيفي: نحو النص ص 28

7-المرجع نفسه ص 28

8-عثمان أبو زيد:نحو النص ص 14

9-ابن منظور:لسان العرب ،م2 ص 226

10-ابن فارس:معجم مقاييس اللغة ،دار الكتب العلمية بيروت "ط1 2005 م2 ص 30

11-الشريف الجرجاني:التعريفات ص85

12-le grand robert .dictionnaire de la langue fransaise

13-محمد طروس:النظرية الحجاجية،دار الثقافة الدار البيضاء ط1،2005 ص 8

14_المرجع نفسه ص 9

15- طه عبد الرحمن:اللغة والحجاج ص 16

16-محمد طروس:النظرية الحجاجية ص 11

17-عبد الله صولة:الحجاج في القرآن،دار الفارابي بيروت لبنان ص 17

18-المرجع نفسه ص 17

19-المرجع نفسه ص 27

20-بشير ابرير:تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق،عالم الكتب الحديث الأردن،ط2007،1 ص 9
21-محمد الدريج:الدرس الهادف،قصر الكتاب البليدة ،ط2000،1 ص 23
22-بشير ابرير:تعليمية النصوص ص 11
23-المرجع نفسه ص 11
24-سامية الدريدي:الحجاج في الشعر العربي،عالم الكتب الحديث الأردن ،ط2 ،2011 ص 26
25-المرجع نفسه ص 25
26-عبد السلام عشير:عندما نتواصل نغير،افريقيا الشرق،ط1 ،2006 ص 130
27-محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ط1 ،2005 ،ص 190
28-المرجع نفسه ص 191
29-سامية الدريدي:الحجاج في الشعر العربي ص27 -28
30-محمد العبد: النص والخطاب والاتصال،ص188
31-سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي ص 32
32- أحمد سنبل:الحوار القرآني بين التفسير والتبصير ص 333
33-الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الدار التونسية للنشر والتوزيع ج 16 ص 195
34- عبد الله صولة:الحجاج في القرآن ص 8
35-الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير ج 16 ص 198
36-مصطفى شلي:محمد موسى:مهارات الاتصال باللغة العربية ،دار العلم دبي،ط1 ،2007 ص 53
37-حسين عبيد الشمري:صورة الآخر في الخطاب القرآني،دار الكتب العلمية بيروت،ط1 ،2008 ،ص61
38-ستار جبر حمود:الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي،دار الكتب العلمية بيروت ط2001،1 ص 46
39-محمد طروس:النظرية الحجاجية ص 26
40-المرجع نفسه ص 26
41- المرجع نفسه ص 28
42- محفوظ كحوال:أنماط النصوص النظرية والتطبيق ،نوميديا للطباعة والنشر،ط1 ،2007 ص192-193
43-عبد السلام عشير:عندما نتواصل نغير ص 97
44-سامية الدريدي:الحجاج في الشعر العربي،ص 252
45-الصعاليك :ديوان الصعاليك ص38
46-المرجع نفسه ص38

47-فوزي عيسى:النص الشعري وآليات القراءة،منشوراتالمعارف الاسكندرية،دط،دت ص 161
48-محمد سمير نجيب اللبدي:معجم المصطلحات النحوية والصرفية ،مؤسسة الرسالة بيروت،ط1985،1 ص 90
49-محمد عطاء الله:الخطاب الحجاجي في المقالات الإصلاحية،رسالة ماجستير جامعة باتنة 2011-2012 ص 116
50-محمد طروس:النظرية الحجاجية ص 112
51-طه عبد الرحمن :اللغة والحجاج ،سور الأزبكية القاهرة ص 39
52-المرجع نفسه ص 36
53- الأعشى :الديوان دار صادر بيروت ص 155

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊